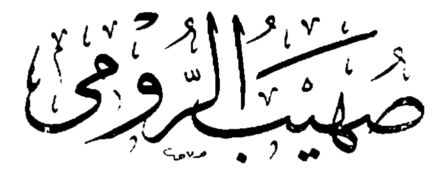
صهيب الرومى

دار [illegible]
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

داود سلمان العبيدي



الطبعة الاولى

دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع

في بلاد الروم

كان الصراع حاداً بين الدولتين الكبيرتين في ذلك العصر ، الفارسية والرومانية ، وكانت لاتدع احداهما الفرصة للاغارة على الاخرى اذا سنحت .

وفي إحدى الغارات التي قام بها الرومان على القبائل العربية الساكنة على الفرات في أرض العراق ،وقع صهيب ، وهوغلام صغير ، في أيديهم ، فأخذوه مع السبي .

ولايعرف بالضبط المدة التي لبثها صهيب في بلاد الروم ، ولابد أنها كانت طويلة بحيث أثرت على لسانه فتركت فيه تلك العقدة التي لم يستطع التخلص منها طيلة حياته .

لم تعجبه حياة الرومان ، ولا طريقة معيشتهم ، ولا حالتهم الاجتماعية فقد دب الفساد والانحلال في الدولة الرومانية ، وانغمس جنودها في الملذات ، فكانت الدولة عبارة عن عصابة كبيرة ، تسوق شعبها بعصا البطش والارهاب ، وتفرض عليه شتى الضرائب والاتاوات ، وقد استغل القوي فيهم الضعيف ، والضعيف لم يجد من يأخذ له حقه من القوي ، فكانت الشقة

بعيدة بين الحاكم والمحكوم ، وأفضع بها من حالة اذا فشت في بلد مزقته شر ممزق ..!

ولم يكن القسوس والرهبان في ذلك الوقت بأحسن حالاً ، فقد استغل هؤلاء جهل الناس بامور دينهم ، فأخذوا يجمعون منهم النقود والذهب والفضة ، ثم يكنزونها لأنفسهم ولا ينفقونها في سبيل الله .

لم تكن لدى الناس فكرة واضحة عن الكون والحياة والانسان ، كانوا يعيشون عيشة بهيمية كأنهم لم يخلقوا إلا لإنتهاب اللذات وارتكاب الموبقات ، والتسابق الى الشرور .

وكان صهيب يحلم بالعودة الى قومه ، الى رؤية ذلك النهر العريض البطيء الذي يجري مختالا من الشمال الى الجنوب ، فيروي الأراضي التي تمتد معه على الجانبين .

ولكن وقوع تلك المنطقة تحت النفوذ الفارسي جعله يصرف النظر عنها ، إنه يريد ان يهرب من الروم ، ولكن ليس الى فارس .. ولا الى بقعة اخرى من بلاد الروم .. ولا الى الحبشة ..

إنه يريد أن يهرب الى مكان لا تطاله يد الفرس ولا تمتد

إليه سلطة الروم . وماذا يجد في بلاد الفرس التي تفشت فيها المجوسية وانغمست في الرذائل الى درجة اقبح وازرى مما عليه الروم ؟ !

لذلك قرر صهيب ـ عندما شب وكبر وبلغ مبلغ الرجال ـ ان يهرب إنه سوف يهرب الى جزيرة العرب .. الى مكة .. ام الجزيرة العربية .. ام القرى . وباتت هذه الفكرة تراوده ، وتلح عليه ، ولم يقلل منها ما كان يراه من مدنية الروم ، وترف الروم كلا .. لاشيء من هذا جذبه ، ولا استطاع ان يستهويه .. انه يريد أن يذهب الى بلاد العرب .. ولكن ليس الى مكان يخضع لسيطرة دولة اخرى .. انه يريد ان يذهب الى مكة .. ام الجزيرة العربيـــة .

وفي ليلة ظلماء ، ترك البلاد ، وجدّ في الهرب .. يصـــل الليل بالنهار ويطوي الجبال والوديان ، والموامي والقفار ، لا يقف دونه شيء ، ولا يقلل من عزمه ومضائه ما يلاقيه من الصعاب ، ولم تنل من همته بعد الشقة وطول المســـافة .. حتى وصل الى مبتغاه .. وصل الى مكة ..

البلد الذي قضى زمناً طويلا يحلم بالمجيء اليه ، والاقامة فيه ، ووقف يتنسم هواءه ، وشعر كأنه يستقبله . بفتح ذراعيه ليضمه الى صدره .

هرب صهيب من الروم ومعه مال كثير ، ولما وصل الى مكة أراد أن يحالف رجلا له شرفه ومكانته من القوم .. فمن هو هذا الرجل ؟

* * *

في مكة ..

ذهب صهيب الى عبدالله بن جدعان ، وكان قد سمع عنه بأنه يقري الضيف ، ويطعم الطعام .. فذهب اليه ، وحالفه .. وهو دليل على ما كان يتمتع به صهيب من منزلة ، وبقي في مكة التي كانت تتراءى له في الاحلام .. وقد ظن انه انتهى الى بغيته ، ونال طلبته ، في هذا البلد العزيز .

ولكنه ما لبث ان شعر بالضيق ، وخاصة عندما رأى القوم يعبدون الاصنام ، ويتقربون اليهـا .. ورغبه في البقاء ما كان عليه العرب من صدق اللهجة ، والصراحة ، والشجاعة ، والكرم .. وهذه صفات تفتقر الى كثير منها شعوب الدولتين الكبيرتين اللتين كانتا تحكمان العالم .

شعر صهيب بان هناك حركة تدب .. حركة تضيق بما عليه الناس في جزيرة العرب وغير جزيرة العرب .. لم تعد الاديان بما دخلت عليها من شوائب ، وما جرى عليها من تحريفات ، لم تعد تصلح للناس ، ولم يعد الوضع الاجتماعي صالحاً للبقاء ، ولا الافكار ولا المعتقدات .

وأيقن صهيب بانه لا بد من وجود فكرة شاملة متكاملة

عن كل شيء .. عن الانســان والحياة والكون .. وبغيرها ، سوف يبقى الانسان تائهاً تتقاذفه الاهواء ، تافهاً لا ينهض الى طلب المزيد .

والانسان أسير معتقدات ، وخرافات وخيالات .. فهل تأتي ساعة الخلاص ، التي توقظ النائم وتثير الغافل وتنبــه الوسنان .. وتأخذ بيد الأعمى الى الطريق ..؟!

هذا التفكير ، هو الذي دعا بعض الرجال الى ترك جزيرة العرب والبحث عن دين جديد يعتنقونه في بلاد اخرى ، كما فعل ورقة بن نوفل وهو نفسه الذي دعا قس بن ساعدة الايادي الى نبذ عبادة الاصنام والاوثان ، والاتجاه الى الله وحده .. لا يشرك به شيئاً حتى مات على ذلك .

* * *

سابق الروم

بني صهيب في مكة يترقب الأحداث ، وكان كل شيء فيها يدل على ظهور حدث جديد ، ولكن ما هو هذا الحدث !؟ وقد ساءه ان يرى هذا الشعب الكريم الأصيل يعيش معزولا في هذه البقعة ولا يؤدي دوره في الحياة ، ولا ينتزع زمام القيادة من أيدي الفرس والرومان . . حكام الدولتين اللتين شاختا ، وارهقتا الناس بانواع المظالم والمغارم وعاثتـا في مشارق الأرض ومغاربها فساداً !!

ولكن كيف يستطيع هذا الشعب الكريم المزيز ان ينتزع القيادة من الأيدي الهوجاء التي تقود الانسانية الى الدمار ؟ وبأي سلاح يمكنه ان يخوض غمار المعـارك ضد اعظـم امبراطوريتين تشددان الخناق على العالم من شرقيه وغربيه ؟!

كيف يستطيع العرب ان يفعلوا ذلك وهم لم يوحدوا صفوفهم بعد ، ومشاكلهم تزداد يوماً بعد يوم ، والسـلب والنهب من مساويء الجاهلية ، والشرك بالله من أعظم مساوئها التي لا تؤهلهـا الى نيل هذا المطلب الصعب :. لا بد من ظهور شيء :.

فكرة جديدة يلتف حولها الناس ،يضحون من اجلها بكل شيء .. كل شيء .

وسمع ذات يوم همساً ..

إن محمداً بن عبدالله يدعو الى دين جديد ..

إنه يدعو الى نبذ عبادة الاصنام والاوثان ..

هل أنت متأ كد؟ .

وهمس الرجل وهو يدني رأسه من رأس صهيب : إي والله إنه يدعو الى رسالة سماوية خالدة خلود السماوات والأرض .. إنها رسالة السماء .. إنها من رب السماوات والارض .. إنه يدعو الى هجر الاصنام .. كل الاصنام .

ومضت الأيام ، وتعالى الهمس ، وتوضحت معالم الرسالة التي يدعو اليها محمد صلى الله عليه وسلم ، وتقدم صهيب ، بعد بضعة وثلاثين رجلا .. فأسلم .. وشهد ان لااله الا الله وأن محمداً رسول الله .

وفتحت لصهيب صفحة جديدة في سجل الاسلام ، في سجل الخلود .. فان هذه الصفحات التي كتبت بمداد الاسلام

هي التي تبقى ، لأن الله تبارك وتعالى قد تكفل بحفظها ، اما التي سودت بمداد محاربة الاسلام ، ووقفت الى صف اعداء الله ، فقد القيت في مزابل التاريخ ، ولم تذكر إلا باللعنات .. !

أسرع صهيب الى الانضمام الى المجموعة الفدائية الأولى.. المجموعة المؤمنة التي عليها قام بنيان الاسلام ، فكان صهيب بحق ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .. سابق الروم .

وقد اسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد . التقى بعمار على باب دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ودخلا سوية على النبي صلى الله عليه وسلم ..

كان صهيب متوسط القامة ، كثير شعر الرأس ، أحمر ، في لسانه لكنة ، من طول المدة التي ابثها في بلاد الروم .

* * *

نذير السماء

رأى المشركون ان الدعوة الاسلامية يمكن القضاء عليها اذا ماوقفوا في وجهها وقفة رجل واحد ، ورموها عن قوس واحدة ، ولاحقوها في كل مكان ، وعذبوا المؤمنين بها عذاباً يكون عبرة لمن يريد أو يفكر بالايمان بها .

وحمل أبوالجهل لواء محاربة الاسلام ، واشتد ضغط العرب المشركين على الذين آمنـــوا ، وتفننوا في أساليب التعذيب ، التعذيب النفسي والبدني والاقتصادي .. ونال صهيب كما نال غيره ، نصيبه من الأذى ، فقد توفي حليفه عبدالله بن جدعان ، ولم تكن له عشيرة تمنعه ، او تدفع عنه اذى المشركين .

وشـدد المشركون من ضغطهم على المؤمنين ، وصاروا يحصون عليهم كل خطوة ، كل حركة ، بل كل همسة .. ولم تبد في سماء مكة بارقة من الأمل تدل على ان هذا الضغط سيقل او يخف .. بل ان كل شيء يدل على ازدياد الضغط وايغاله في العنف والشدة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم معهم ، يشد ازر المؤمنين ،

ويقويهم ويدعو لهم بالثبات .. ويضرب لهم الامثلة على ثبات الدعاة الذين سبقوهم ..

« قد كان من قبلكم ..

يؤخذ الرجل ، فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ..

ثم يؤتى بالمنشار .. فيوضع على رأسه فيجعل نصفين .

ويمشط بامشاط الحديد ، مادون لحمه وعظمه .

مايصده ذلك عن دينه » .

ثم يبشرهم ويؤملهم :

« والله ليتمن الله هذا الأمر .. »

ولقد ثبت المؤمنون ثباتاً ، دونه ثبات الذين من قبلهم ، وتحملوا ما لم يتحمله بشر ، وكانوا هم حجر الأساس في بناء الدعوة الاسلامية ، في إقامة هذا الصرح العظيم الخالد ، صرح الاسلام .

ودخل حديث الدعوة الى كل بيت ، الى كل مجلس ، وصار حديث القوم الذي لاحديث غيره ، ووقف الجميع يرددون هذا الأمر ..

ويشددون الضغط على المجموعة المؤمنة الصابرة المحتسبة،
وصوت النبي صلى الله عليه وسلم يسري في عروقهم ودمائهم..
« والله ليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لايخاف الا الله والذئب على غنمه .
ولكنكم قوم تستعجلون » .
وبالرغم من هذا الضغط الشديد الذي يحصي على المؤمنين انفاسهم ، كان يظهر بين المسلمين من يكسر هـذا الطوق المضروب ، فيخرج ليعلن دعوته على الملأ ..
ولقد خرج عبدالله بن مسعود يوماً ،فوقف في وسط الكعبة واخذ يقرأ سورة الرحمن ، وقد انهال عليه القوم ضرباً حتى ادموه .. ولكنه لم يسكت حتى اتمها ..
وكان صهيب من الأوائل الذين جاهروا باسلامهم ،وتحدوا بأس قريش وشدتها وبطشها .
ورأت قريش أن تلجأ الى اساوب آخر ، اسلوب يتسم بالحكمة والسياسة والدهاء .. اسلوب المفاوضة !
ماذا يريد محمد ؟ ..

المال ، المنصب ، الجاه ، النساء .. انهم يقدمون له كل ما يريد لقاء شيء واحد .. ان يترك دعوته !!

واقبل عتبة بن ربيعة ، في اتزان الشيوخ ووقارهم ، وبدأ يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم ما اقترحته قريش .. ووافقت عليه .

كلا .. إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم بما قام به من أمر الدعوة من أجل منصب او مال او رياسة .. كلا .. لا لشيء من هذه التوافه أبداً .. إن الله أرسله .. الله رب الناس ، خالقهم ارسله ليخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .. ليدلهم على طريق العز والكرامة . الله الذي وضع لهذا الكون نظامه الذي يسير بموجبه ، وللنبات نظام حياته وديمومته ، وللحيوان نظام معيشته .. الله رب كل شيء ومليكه ارسل لهذا الانسان ، لعبده الذي خلقه واكرمه ونفخ فيه من روحه .. ارسل اليه نظاماً لا يدع امراً من امور حياته المادية والعقلية والروحية الا ونظمه احسن تنظيم ..

وجاء بفكرة واضحة صريحة عن الكون والحياة ، وما بعد الحياة والانسان .

كلا .. إن النبي صلى الله عليه وسلم يرفض ما عرض عليه ..

انه رسول من رب العالمين ، ممن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه ..

ومضى الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ على عتبة بن ربيعة آيات من القرآن الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

حم * تنزيلٌ من الرحمن الرحيم *

كتابٌ فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون *

بشيراً ونذيراً .. فأعرض اكثرهم فهم لايسمعون *

وقالوا قلوبنا في اكنّة مما تدعونا اليه ، وفي آذاننا وقرٌ..

ومن بيننا وبينك حجابٌ .. فاعمل إننا عاملون *

قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما الهكم إله واحد

فاستقيموا إليه واستغفروه ..وويل للمشركين *

الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون *

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون *

قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له انداداً .. ذلك رب العالمين *

وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها في اربعة أيام .. سواء للسائلين *

ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً او كرهاً ..

قالتا أتينا طائعين *

فقضاهن سبع سماوات في يومين،واوحى في كل سماءامرها

وزينا السماءالدنيا بمصابيح .. وحفظاً .. ذلك تقدير العزيز العليم *

فان أعرضوا

فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود * »

واستمع عتبة بن ربيعة الى هذه الآيات التي كأنها الصواعق من فم النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه يسمعها من فم السماء .

وادرك وهو الرجل العربي المرهف ، ان ماسمعه ليس بالشعر ، فهو اعلم الناس بالشعر وقوافيه ومراميه . ولا هو بالسحر .. ولا بشيء مما يتحدث به الناس .

وذهب ليقول لقريش .. اتركوا الرجل وشأنه .

وانتشر حديث المفاوضة في مكة ، ورددت الأفواه ذلك الانذار الشديد « فان اعرضوا .. فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »

وهم يعلمون ماذا حل بعاد وثمود ..

إن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بلسانه ..ليس هوالذي ينذرهم .

انه يتكلم بلسان الوحي ..

ان الله القوي العزيز هو الذي انذرهم .

وكانت هذه الآيات تشد من ازر المؤمنين المعذبين،وتفتح امامهم باباً من الأمل واسعاً واسعاً .. انهم لاينتمون الى قوة ارضية زائغة زائلة .. انهم ينتمون الى الذي جـــاء ذكره في الآيات التي قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على عتبة بن ربيعة الى الذي قال للسماء والارض ائتيا طوعا او كرها .. قالتا اتينا طائعين .. أيأتي الكون كله طائعاً ولايأتي الانسان ..

« أإنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ، وتجعلون له أنداداً .. ذلك رب العالمين »

الى هذا الرب القوي العظيم القادر ينتمي المؤمنون ..

انهم لايخافون قوة قريش ، ولا بطشها ..

إن هذه الرؤوس التي تعذب المؤمنين سوف تزول .سوف تذهب الى جهنم .. ولات ساعة مندم .

ربح صهيب

كان طريق الوصول الى الدعوة شاقا وعسيراً ، لايجتازه إلا من رضي أن يخاطر بنفسه وماله ، معرضا نفسه الى أذى قريش وسخرية سفهائها ، وسياط الظالمين فيها ..

ورغم كل هذا ..

رغم كل ما وضع في طريق الوصول الى النبي صلى الله عليه وسلم من عقبات .. وما يجره الايمان بالاسلام على صاحبه من ويلات رغم الضغوط كلها .. كان عدد المؤمنين يزداد يوماً بعد يوم ، وكان أذى المشـــركين يزداد عنفاً وشـــدة يوماً بعد يوم ..

وقد اراد المؤمنون متنفساً ، مكاناً يجدون فيه بعض الراحة ولو الى حين ، فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى الحبشة فهاجر اليها عدد من المؤمنين والمؤمنات . هاجروا اليها مرتين واشتد الضغط على المؤمنين ، وسـدت في وجوههم المسالك والمنافذ وتحملوا كل ذلك بصبر عجيب ، وثبات لم يشهد الدهر مثله .

ثم امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة التي

دخولها الاسلام ، واخذ المؤمنون يفرون بدينهم ، والمشركون يشددون عليهم الحصار ، ويسدون عليهم منافذ الطرق .

ثم هاجر النبي صلى الله علية وسلم ، بعد أن اطمأن الى هجرة أصحابه كلهم .. ثم هاجر علي بن ابي طالب بعد أن سلم الودائع الى القوم .

عندما جاء صهيب من بلاد الروم كان لديه بعض المال ، وقد عمل في مكة فكثر ماله ، حتى اذا اراد الهجرة ، تبعه كفار قريش وارادوا الحيلولة بينه وبين ما يريد ..

فوقف صهيب ، وكان قوياً مفتول العضل ، ونثل كنانته وقال لهم :

- يا معشـــر قريش .. تعلمون أني من أرماكم .. و والله لا تصلون الي حتى ارميكم بكل ســـهم عندي ، ثم اضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء .

قالوا والغضب يتفجر من صدورهم :

- أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ؟

والله لا يكون ذلك .

قال صهيب ، وهو لا يزال متهيئاً للقتال :

ـ أرأيتم إن جعلت لكم مالي .. أتخلون سبيلي ؟

قالوا :

ـ نعم .. فدلنا على مالك ونخلي عنك .

فتعاهدوا على ذلك .. ودلهم على ماله .

فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ـ ربح صهيب .. ربح صهيب !

ولما لحق صهيب برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ ربح البيع أبا يحيي .

فالنبي صلى لله عليه وسلم هو الذي كناه بأبي يحيى .

• • •

حنين :٠

وجلعت المجموعة المهاجرة في المدينة الأمن والراحة : ،
وبدأ تكوين المجتمع الاسلامي الذي تسوده الألفة والاخوة
والمحبة .. فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار
وآخى بين صهيب الرومى والحارث بن الصمة .. ونزل على
خبيب بن اساف .

احتضن الانصار اخوانهم المهاجرين ، ولم يضنوا عليهم
بشيء من المال او المتاع ، وضربوا أروع الامثلة في الإيثار
والتضحية..مما جعل صفحات التاريخ تذكر بالاعجاب والثناء
وتبارك هذه الاخوة التي اوجدها الاسلام ، وهذه الآصرة
القوية التي دونها آصرة الدم والنسب ، والتي لخصها القرآن
الكريم بأوجز عبارة ، فقال تبارك وتعالى «وكنتم بنعمته اخوانا»

واستمر هذا المجتمع ينمو كما تنمو الشجرة الطيبة اذا
صادفت أرضاً طيبة وتوفرت لها أسباب الرواء والنماء ..وهناك
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه تفاصيل الرسالة
الاسلامية وأخذت آيات القرآن تنزل فيها تفاصيل الأحكام
والعبادات .

ارتاح صهيب الى الوضع الجديد في المدينة ، ووجد ما كان يبتغيه من الراحة والاطمئنان ، والانتقال بحرية من مكان الى مكان ،لا يقف في وجهه أبوالجهل ولا ابي بن خلف ، ولا طاغية من طغاة قريش .. انه يستطيع ان يؤدي العبادة .. ويستطيع ان يلتقي بالنبي صلى الله عليه وسلم .. ويسمع من فم النبوة مايزيده علماً في الدين ورسوخاً في الايمان . وتذكر وهو يحمد الله ويشكره على ما انعم عليه ، تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« عجباً لأمر المؤمن .. إن أمره كله خير
وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن :
إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له
وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »

ولكن بعض المهاجرين تغير عليهم الجو ، فلم يألفوا جو المدينة ، فأصيب بعضهم بالحمى . ورغم ماعاناه المهاجرون من اضطهاد وعنت من اهل مكة ، ومالقوه في المدينة من حفاوة وترحاب ، فقد أخذ مرض الحنين يدب في اوصالهم ، وراح

بلال بن رباح ، بصوته الشجي يهيج ما استقر من الأفئدة ، عندما يردد في الليالي الهادئة المقمرة :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولي أذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم،ماحل بأصحابه من الحنين أخذ يدعو الله تعالى ويسأله أن يحبب اليهم المدينة :

« اللهم حبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » .

واستمر النبي صلى الله عليه وسلم ، يرسخ معاني العقيدة في النفوس ويعد اصحابه للمعركة الحاسمة .. وكان صهيب يزداد فقهاً وايماناً كلما تقدمت الأيام وتعلم من امور الدعوة وفقهها مازاده حباً بها وتفانياً من أجلها .

• • •

سيوف الله

شهدت السنوات التي تلت هجـــرة المسلمين من مكة الى المدينة ، اختلال ميزان القوى في الجزيرة العربية ، وبدأت كفة المسلمين في الرجحان ، بل اخذت جيوش الاســلام تطارد الجاهلية وتتعقب فلولها وتغزوها في عقر دارها . وتحقق وعد الله تبارك وتعالى « كتب الله لاغلبن » . وتذكر الصحابة قول النبي صلى الله عليه وســلم عندما كان متوسداً بردة له في ظلّ الكعبة .. وقد نال منهم المشركون واوشك صبرهم على النفاد فقالوا له :

- الا تستنصر لنا ؟ .. ألا تدعو لنا ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه ينظر من وراء الغيب تصديقاً لوعد الله تبارك وتعالى :

- والله ليتمن الله هذا الأمر .

وصدق الله العظيم ، وصدق رســوله الأمين .. فها هي جيوش الاسلام تخوض المعارك ضد اعداء الله ، فينهزم المشركون لايلوون على شيء ..

وقد شهد صهيب بدراً وأحداً والخندق ، والمشاهد كلها

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتخلف عن معركة من المعارك التي خاضها الاسلام ضد اعدائه المشركين واليهود . لم يكتف صهيب ببذل ماله في سبيل الله ، وانما استمر يقاتل بسيفه ويرمي بالنبل مستجيباً لداعي الجهاد ملبياً لنداء السماء .

كان المعذَّبون من المسلمين ، يودون لو نالت السيوف من أعناق المشركين الذي كانوا يعذِّبون الضعفاء في مكة ، فقد تحملوا منهم صنوف الاذى والعذاب ، وكانوا ينتظرون الساعة التي يلتقون فيها بهؤلاء في ساحة القتال .. وقد مكن الله من أبي الجهل وأبي بن خلف وعدد من الطغاة القساة الظلمة . وبقي منهم عدد لم ينل جزاءه بعد .

فلما كان عام الحديبية ..

وعقدت الهدنة بين المسلمين والمشركين من كفار قريش مرّ أبو سفيان على سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال ، فلما رأوه قالوا :

ـ والله ما أخذت سيوف الله من عُنُقِ عدو الله مأخذها..

وكانوا يقصدون أبا سفيان . فلما بلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه قال :

- أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟!!

وذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره .. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

- لعلك أغضبتهم ؟ لئن كنت أغضبتهم لقد اغضبت ربك

فندم أبو بكر رضي الله عنه ، واسرع يعتذر منهم .. وأقبل عليهم فقال :

- يا اخوتاه أغضبتكم ؟

قالوا :

- لا يا أبا بكر .. يغفر الله لك يا أخي .

وكان هذا في الهدنة ، بعد صلح الحديبية ، وكان أبو سفيان كافراً . وفي هذا فضيلة ظاهرة لسلمان وصهيب وبلال ورفقتهم ودليل على روح الاخوة والحب والتسامح بينهم .

الى جانب هذه الشدة التي امتاز بها صهيب على أعداء الله ، فقد كان رضي الله عنه ، مع فضله وعلو درجته ، فيه مداعبة

وحسن خلق .. والمجتمع الاسلامي يمتاز بهذه الروح الطيبة اللطيفة ، والدعابة التي تنتشر في هذا المجتمع لاتكون إلا نظيفة رفيفة تنسجم وروح الاسلام التي تمتاز بالسمو والجمال .

روي عن صهيب رضي الله عنه أنه قال :

ـ جئت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نازل بقباء ، وبين أيديهم رطب وتمر ، وانا أرمد .. فأكلت :

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ أتأكل التمر وأنت أرمد ؟

فقلت :

ـ إنما آكل على شق عيني الصحيحة .

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه .

* * *

الأيام الأخيرة ..

تركت المدة الطويلة التي لبثها صهيب في بلاد الروم أثراً في لسانه ، فلم يستطع ان ينطق بعض الكلمات ، وكان يصعب على عدد من الصحابة معرفة ما يريد اذا كلمهم :

وقد ذكر زيد بن أسلم أن أباه خرج ذات يوم مع عمر بن الخطاب حتى دخل حائطاً - بستاناً - لصهيب بالعالية ، فلما رآه صهيب أخذ ينادي :

- يناس .. يناس

فقال عمر رضي الله عنه :

- ماله يدعو بالناس ؟

فاجابه أسلم قائلا :

- إنما يدعو غلاماً له اسمه يحنس ، وانما قال ذلك لعقدة في لسانه .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، محبـاً لصهيب ، حسن الظن فيه ، حتى قال له يوماً :

- ما فيك شيء اعيبه يا صهيب إلا ثلاث خصال ، اولاهن ما قدمت عليك أحد .

وانتظر صهيب ليسمع ما هذه الخصال التي يعيبه عليها عمر ..

قال عمر رضي الله عنه :

ـ أراك تنتسب عربياً ولسانك أعجمي ، وتكنى بأبي يحيى اسم نبي ، وتبذر مالك .

فلما انتهى عمر من كلامه قال صهيب :

ـ اما تبذيري مالي فما انفقه إلا في حقه .

واما اكتنائي بابي يحيى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كناني بأبي يحيى فلن أتركها .

واما انتمائي الى العرب ، فان الروم سبتني صغيراً فاخذت لسانهم وانا رجل من النمر بن قاسط ، ولو انفلقت عن روثة لانتميت اليها .

وكان مذهب عمر ـ كما ذكر السهيلي ـ كراهية التسمي باسماء الانبياء ، فقد انكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى ، وانكر على صهيب تكنيته بابي يحيى ، فاخبره كل واحد منهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بذلك .

فسكت عمر ..

وانما كره عمر من ذلك الاكثار ، وأن يظن أن للمسلمين شرفاً في الاسم اذا سمي باسم نبي ، او انه ينفعه ذلك في الآخرة ، فكأنه رضي الله عنه ، استشعر من رعيته هذا الغرض او نحوه ، وهو أعلم بما كره من ذلك .

وكان من حب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لصهيب ، وتقديره له ، أنه لما ضرب ، اوصى ان يصلي عليه صهيب ، وان يصلي بجماعة المسلمين ثلاثاً حتى تتفق اهل الشورى على من يستخلف . وهذه شهادة عظيمة ، تعترف بمكانة صهيب وعلو قدره .

توفي صهيب رضي الله عنه بالمدينة المنورة في شوال سنة ثمان وثلاثين للهجرة وهو ابن ثلاث وسبعين ودفن بالبقيع رضي الله عنه وارضاه .. وهكذا انتهت هذه الحياة الحافلة بالجهاد والبذل والتضحية وانتقلت الى رضوان الله ، وبقيت صفحاتها النيرة تتلوها الأجيال وتستمد منها العبرة والقوة ، والعون على الصمود في وجه الاعاصير التي تهب على شجرة الاسلام .

الفهرس

• • •

غرة رمضان المبارك ١٣٨٩ هجرية

١٠ / ١١ / ١٩٦٩